دور الكتب

في حلب قديمًا وحديثًا (١)

سادتي :

لم تقف همة أجدادنا العظام وسلفنا الصالح عند تأسيس المدارس وتشييد بنائها ، بل انهم ذللوا كل عقبة تعوق عن تحصيل العلم وتحول دون الورود إلى مناهله واجتناء ثمراته .

وقد وجدوا أن من أعظم الوسائل لرفع منار العلوم ونشر ألوية المعارف ، تأسيس خزائن الكتب في المدارس التي أنشأوها وتنظيم شؤونهـا واسنادها إلى أهل الفضل وذوي المعرفة والخبرة بها . فأخذوا في التباري في هذا المضمار ، وتسابقوا في حلبة هذا الميدان ، ووقفوا من الكتب على اختلاف العلوم والفنون ما لو بقي إلى الآن لعد بالملايين .

غير أن الحوادث والمصائب العظمى التي حلت بالإسلام في كثير من الأقطار شتتت شمل هذه الخزائن ومزقتها كل ممزق ، ولما انتبه العالم الغربي

---

(١) مجلة المجمع : ألقى الاستاذ محمد راغب الطباخ عضو مجمعنا العلمي هذه المحاضرة النفيسة في حفلة افتتاح دار الكتب الوطنية بحلب ، ويرى القارئ وصف هذه الحفلة في باب الآراء والأفكار من هذا الجزء .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

كان في طليعة أعماله أن وجه نظره وهمته إلى الاستحواذ على هذه الكتب بشتى الوسائل فتم له ما أراد ، وأنشأ في العواصم الاوروبية وغيرها مكاتب حافلة اشتملت على آلاف من الكتب العربية والفارسية والتركية ، وكثير منها من النوادر التي لا تجد منها شيئاً في بلاد الشرق ، وأكبوا على ترجمتها ونشرها والاستفادة منها وما زالوا دائبين على ذلك الى وقتنا هذا .

ولو أردنا أن نذكر المكاتب التي شيدها سلاطين المسلمين وأمراؤهم وعلماؤهم وذوو اليسار منهم في مختلف الأقطار الاسلامية في الشرق والغرب لاحتجنا إلى مؤلف حافل ، غير أنا بمناسبة الاحتفال في هذا اليوم بافتتاح دار الكتب الوطنية التي هي فرع المجمع العلمي العربي في دمشق احببنا أن نقتصر بمحاضرتنا هذه على ذكر دور الكتب في حلب قديماً وحديثاً ، ومنها يعلم أن الشهباء كانت غنية بهذه الذخائر الثمينة جارت غيرها من البلاد العربية الكبيرة ، ولاريب أن دور الكتب في الأمم هي مقياس رقيها وعنوان تقدمها .

يرشدنا التاريخ الى أن حركة العلم والادب كانت في القرن الاول والثاني ضعيفة في حلب وما حولها الا أنها أخذت تتقوى في القرن الثالث للهجرة ، فقد ظهر فيها وفيما حولها حفاظ في الحديث ونبغاء في الأدب ، وحسبك من هؤلاء الوليد بن عبيد الشاعر المشهور المتوفى سنة ٢٨٤

وكانت حلب في ذلك الوقت قد أخذت بحظ وافر من العمران وازدحمت بالسكان فتطاولت اليها أعناق الملوك والامراء ومن جملتهم سيف الدولة بن حمدان فنهض اليها بجيشه واستولى عليها وذلك سنة ٣٣٣ ومن ذلك الحين عظمت الحركة العلمية فيها وقامت دولة الادب ، وذلك لما كان عليه سيف الدولة من العلم والفضل واغداقه الاموال الطائلة على العلماء والأدباء وصارت الشهباء في عهده محط الرحال وموئلا لعظام الرجال ، وأسس فيها مكتبة عظيمة عنها انبعثت أنوار العلوم وتفجرت ينابيع الفنون ومنها انتهل المتعطشون .

قال الحافظ الذهبي في تاريخه : كان في خزانة الكتب بحلب عشرة آلاف مجلدة من وقف سيف الدولة بن حمدان وغيره ، وكان من جملة المتولين على هذه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الخزانة ثابت بن أسلم الشيعي المتوفى سنة ٤٦٠ فألف كتاباً في كشف عوار الاسماعيلية فحمل الى صاحب مصر فصلبه وأحرقت تلك الخزانة .

وقال الإمام الكبير والوزير الخطير عمر بن العديم في كتابه الانصاف والتحري في دفع الظلم والتجري عن أبي العلاء المعري الذي نشرناه على نقص قليل فيه في الجزء الرابع من تاريخنا (أعلام النبلاء) : وكان بحلب خزانة كتب في الشرقية التي بجامع حلب في موضع خزانة الكتب اليوم ، واتفقت فتنته في بعض أيام عاشوراء بين أهل السنة والشيعة ، ونهبت خزانة الكتب وكان ذلك في زمن أبي العلاء ولم يبق في خزانة الكتب إلا القليل ، وجدد الكتب فيها بعد ذلك الوزير ابو النجم هبة الله بن بديع وزير الملك رضوان ثم وقف غيره كتباً أخر بها ، وقد ذكر أبو محمد عبد الله بن محمد بن سنان الخفاجي (الشاعر المشهور مؤلف كتاب سر الفصاحة الذي طبع حديثاً في مصر) هذه الخزانة في قصيدته النائية التي كتبها من القسطنطينية يداعب أحد أصدقائه بها قال فيها :

أبلغ أبا الحسن السلام وقل له هذا الجفاء عداوة للشيعة
فلأطرفن بما صنعت مكابراً وأبث ما لاقيت منك لبنكة
ولأجلسنك للقضية بيننا في يوم عاشوراء بالشرقية
حتى أثير عليك فيها فتنة تنسيك يوم خزانة الصوفية

وهذا أبو الحسن سالم بن علي بن تميم الفقيه الكفرطابي المعروف بالحمامي ، وكان من فضلاء حلب وكان سني المذهب وابو محمد الخفاجي شيعي وكان بينهما مودة ومكاتبة وبنكة من غوغاء الشيعة . ثم ذكر الصاحب ابن العديم ما يفيد أن أبا العلاء المعري كان يغشى هذه المكتبة في تردده الى حلب .

ماذا حصل في هذه المكتبة بعد ذلك

قال ابن خلكان في تاريخه في ترجمة أبي السعادات المعروف بالمسعودي: حكى أبو البركات الهاشمي قال : لما دخل السلطان صلاح الدين الى

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

حلب سنة تسع وسبعين وخمسمائة نزل المسعودي المذكور الى جامع حلب وقعد في خزانة كتبها الموقوفة واختار منهـا جملة أخذها ، لم يمنعه منها مانع ، ولقد رأيته وهو يحشوها في عدل ، وهذه الحادثة مما يؤاخذ عليها السلطان صلاح الدين رحمه الله .

ثم أسس بعد ذلك في أواسط القرن السابع القاضي الاكرم جمال الدين يوسف بن ابراهيم وزير حلب دار كتب بحلب وجمع بها ما لا يوصف ، وكان هذا القاضي الوزير من غواة الكتب ومن عشاقها المتفانين في حبها .

قال ياقوت في معجم الادباء : وكان القاضي الاكرم جماعة للكتب حريصاً عليها جداً لم أر مع اشتمالي على الكتب وبيعي لها وتجارتي فيها أشد اهتماماً منه بها ولا أكثر حرصاً منه على اقتنائها ، وحصل له منها ما لم يحصل لأحد ، وكان مقيماً بحلب (وبها توفي سنة ست وأربعين وستماية)

وقال ابن شاكر في تاريخه فوات الوفيات في ترجمة القاضي الاكرم : وكان صدراً محتشماً كامل السؤدد جمع من الكتب ما لا يوصف وقصد بها من الآفاق وكان لا يحب من الدنيا سواها ، ولم يكن له دار ولا زوجة وأوصى بكتبه للناصر صاحب حلب ، وكانت تساوي خمسين الف دينار وله حكايات غريبة في غرامه بالكتب .

قال الصلاح الصفدي في تاريخه المرتب على السنين (في جزء منه هو الآن من مخطوطات المكتبة الاحمدية بحلب) في ترجمة القاضي الاكرم : وله حكايات عجيبة في غرامه بالكتب ، منها أنه وقع له نسخة مليحة من كتاب الانساب لابن السمعاني بخطه يعوزها مجلد من أصل خمسة ، فلم يزل يبحث عنه ويطلبه من مظانه فلم يحصل له ، فبعد أيام اجتاز بعض من يعرفه بسوق القلانسيين ، فوجدوا أوراقاً منه فأحضرها اليه وذكر القصة ، فأحضر الصانع وسأله عنه فقال : اشتريته في جملة أوراق وعملته قوالب للقلانس ، فحدث عنده من الهم والغم والوجوم ما لا يمكن التعبير عنه ، حتى أنه بقي أياماً لا يركب الى القلعة وقطع جلوسه ، وأحضر من ندب على الكتاب كما يندب على الميت المفقود

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

المؤيس منه ، وحضر عنده الاعيان يسلونه كما يسلى من فقد له عزيز . والحكايات الدالة على عشقه الكتب كثيرة . اه

وكتاب الانساب هذا كتاب عظيم في هذا الفن ذكره ابن خلكان في ترجمة مؤلفه عبد الكريم بن محمد المروزي وانه في ثمان مجلدات وقد اختصره عز الدين بن الاثير في ثلاث مجلدات والمختصر هو الموجود بأيدي الناس والاصل قليل الوجود . قال ذلك عنه ابن خلكان وهو من اهل القرن السابع . وهـذا الكتاب يحتاج اليه مزاولو علم الحديث والتاريخ والادب والجغرافية فانه يوقفك على الصواب من اسماء الرجال والبقاع الى غير ذلك من الفوائد ، يوجد الان منه نسخة نفيسة في مكتبة كوبريلي زاده محمد باشا في الاستانة رقمها ١٠١٠ . وقد سبقنا الالمانيون الى طبع هذا السفر النفيس عندهم بالفوتوغراف (المصور الشمسي) وجاء منه نسخة الى حلب الى بعض باعـة الكتب بيعت آخراً على ما اظن الى مكتبة المدرسة الخلوتية ، ولا أدري أطبعه الالمانيون على هذه النسخة الموجودة في الاستانة ام على غيرها ، وعلى كل فان نسخه الاصلية نادرة الوجود .

ومن جملة المكاتب العظيمـة التي اسست في حلب مكتبة العلامة شرف الدين الشيخ عبد الرحمن العجمي باني المدرسة الشرفية وراء الجـامع الكبير واشتهرت عند الناس بالاشرفية وهو خطأ ، وكانت وفاته سنة ثمان وخمسين وستمائة في وقعة التتر لما دخلوا حلب .

قال مترجموه : وقد وقف الواقف رحمه الله تعالى على هذه المدرسة الكتب النفيسة من كل فن من حديث وتفسير وفقه ونحو وغير ذلك ، فمن كتبها مسند الامام الشافعي والأم وجميع كتب الامام الشافعي وكتب الاصحاب كتفسير الثعلبي وغيره من التفاسير وكالنهاية والحـاوي الكبير والابانة والتتمة والذخائر والشامل ، (الى ان قال) وكان بها اربعون نسخة من التنبيه وجميع كتب الغزالي وكانت اسماء الكتب مثبتة عند اقاربه في درج كبير فذهب في محنة تيمر .

ومن دور الكتب في حلب جامع منكلي بغـا المعروف الان بجامع الرومي في محلة باب تنسرين أنشيء هذا الجامع سنة سبع وستين وسبعماية هجرية .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

قال أبو ذر في تاريخه كنوز الذهب : ووقف منكلي بغا كتباً نفيسة لهذا الجامع ومنها التفسير للقرطبي والتبصرة لابن الجوزي ومجمع الاحباب للحسيني وغير ذلك من الكتب النفائس وقد ذهب نصف مجمع الاحباب وكان كله في مجلدين فذهب مجلد واحد وهو كتاب جليل ترجم فيه الاولياء والعلماء وتكلم فيه على طريق الصوفية ، ووضع الكتب في خزائن الجامع المذكور . وهذه الخزائن متقنة محكمة فيها الصنائع العظيمة على طريق النجارين وبلغني ان الشيخ فريكاً وهو من الصالحين كان نجار ذلك .

والان لا خزائن هناك ولا كتب وقد رأيت منها تفسير القرطبي في بعض البيوت وهو في (١١) مجلداً من اصل خمسة عشر وقد بيعت هذه المجلدات منذ عهد قريب ، ويغلب على الظن ان هذه النسخة النفيسة اصبحت الان في خزائن المكاتب الغربية .

ومن دور الكتب دار الحديث التي أمر ببنائها أحمد مطاف باشا من غلة دراهم قدرها عشرة آلاف دينار ذهباً ووقفها في سبيل الخيرات وكتاب هذا الوقف محرر سنة ١٠٠٤ ، ودار الحديث هذه كانت شرقي تربة الواقف الكائنة في محلة الجلوم الملاصقة للخان المعروف بخان المطاف ، وقد ذكر في كتاب وقفه ثمانين كتاباً خطياً وقفها على دار الحديث هذه ، وهي كتب متنوعة من جملتها جلدان من لسان العرب وصل فيهما الى حرف الراء وقد تبعثرت هذه الكتب واستبدلت هذه الدار بدار في محلة وراء الجامع دعيت بدار الحديث أيضاً لكنها في عداد المدارس المعطلة التي لا تستفيد منها الامة .

هذا ما عثرت عليه في هذه العجالة من دور الكتب في الشهباء قبل الالف ، وكلها أصبحت أثراً بعد عين ونحن نلقي تبعة ذلك على أمراء ذلك العصر وعلمائه فانه لولا تهاونهم وسكوتهم لحفظ الى هذا الوقت ذلك التراث المجيد ولكنا نقتطف منه ثماراً يانعة ولكن الى الله المشتكى .

ما أنشئ من دور الكتب بعد الالف

من أعيان الشهباء في أوائل القرن الحادي عشر رجل يقال له الشيخ أحمد

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

القاري وكان خليفة للشيخ ابي بكر صاحب المزار المشهور الذي يعد اليوم في جملة آثار حلب القديمة وهو شرقي حلب الى شماليها .

وكان هذا الرجل ذا تدبير وحسن رأي وصلاح ومعرفة وسخاء يد محبوباً الى الامراء الذين يردون حلب والى الاهلين فأغدقت عليه الاموال ، فبنى تلك التكية المعروفة الى اليوم بتكية الشيخ ابي بكر ووقف لها عقارات ومزارع ونظم امورها على ما يطلبه ذلك العصر ، ومن جملة ما أسسه فيها مكتبة قيمة فيها مختلف العلوم والفنون إلا انها كانت كغيرها عرضة للناهبين ومنذ عشر سنين كان فيها بقية قليلة في خزانة تجاه ضريح الشيخ أبي بكر ، ورأيت في جملة هذه البقية مصحفاً كريما محلى جميعه بالذهب وربعة أي أجزاء من القرآن العظيم وكل جزء منه محلى كذلك ، ولا أكون مبالغاً اذا قلت لكم إن هذا المصحف وتلك الاجزاء تساوي اكثر من ٣٠٠ ليرة ذهبية وقد فقد ذلك كله ، وتلك البقية من الكتب استلمتها دائرة الاوقاف منذ سنين قلائل وأضافتها الى كتب مكتبتها .

وهذا الرجل هو الشيخ أحمد القاري وقف كتباً قيمة أيضا على التكية المولوية ، وهي مما بني في اواسط القرن العاشر وكان هو مولوياً أيضا ، وأظن ان هناك اشخاصا آخرين ممن تولوا أمر هذه التكية وقفوا فيها كتبا كثيرة إلا انها ايضا كانت معرضة للنهب لعدم انتظام أمرها ففقد منها الكثير ، وفي فهرست كتبها الاخيرة عدد الكتب يناهز ١٢٠٠ ولما أحصتها دائرة الاوقاف بلغت ٩٥٠ كتابا ، الا ان المهم من هذه المكتبة لا يزيد على خمسين كتابا وهي اليوم بحالة لا يستفاد منها مطلقا وذلك مما يؤسف له ، وقد قلنا ان تبعة ذلك ملقاة على عاتق امراء حلب وعلمائها فهم المسؤولون عن ذلك كله (فكلكم راع وكل راع مسؤول عن رعيته) .

وفي القرن الثاني عشر في اواسطه وأواخره أسس في الشهباء خمس مكاتب الاولى أسسها أحمد افندي طه زاده وتعرف اليوم بالمكتبة الاحمدية وهي في مدرسته التي أنشأها في محلة الجلوم ، تحوي الفا واربعماية وخمسين كتابا تبلغ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ثلاثة آلاف مجلدة كلها مخطوطه ، وفيها الكثير من النفائس ، وبالرغم عن تشديد الواقف في أمرها فانها لم تسلم من ايدي العابثين وعلى ما اقدر انها نقصت من حين إنشائها الى الان نحو ١٥٠ كتابا منها نحو السبعين فقدت منذ خمسين سنة الى الان ، وهي بالنسبة الى غيرها تعد محفوظة بالجملة . ومن جملة نفائسها اسطرلاب نحاسي بديع الصنعة محكم لا تقل قيمته عن خمسين ليرة ذهبية ، وفيها كرتان قديمتان من صنع اوربة الواحدة سماوية والاخرى ارضية بلغني ان زائرة ايطالية عالمة بالآثار اكدت ان هاتين الكرتين قل ان تجد كرة معاصرة لها في المتاحف الاوربية .

الثانية : اسسها المرحوم عثمان باشا الدوركي باني المدرسة العثمانية واضاف اليها المرحوم تقي الدين باشا المدرس الحلبي كتبا مخطوطة ومطبوعة وذلك في اوائل هذا القرن ، وفيها من وقف هذين العظيمين كتب من النفاسة بمكان ولم تسلم ايضاً من الايدي الاثيمة لعدم انتظام امر قوامها ، وبعض هذه الكتب لقلة الاهتمام بها اصابتها الامطار فالتصقت اوراقها بعضها ببعض ، والخلاصة ان الخلل في هذه المكتبة ليس اقل من الخلل الواقع في اوقافها وهذا مشاهد معلوم .

الثالثة : اسسها المرحوم احمد افندي الكواكبي في مدرسته التي انشأها في الجلوم ، وكانت لا تقل اهمية عن المكتبة الاحمدية ، وقد بددت كلها وبضع اجزاء منها آل الى مكتبة الاوقاف العامة ، وقد كان فيها عدة كتب هي من تأليف بني الكواكبي منها ذيل في تراجم الرجال لمحمد افندي الكواكبي ورحلة نفيسة الى احمد افندي الكواكبي جد احمد افندي الواقف .

الرابعة : مكتبة اسسها الشيخ محمد البخشي شيخ سجادة التكية الاخلاصية في محلة البياضة ، وزاد فيها بعد ذلك الشيخ ابو الوفا الرفاعي جد بني الرفاعي القاطنين بها الان ، ولم تسلم كغيرها من المكاتب بل امتدت اليها بعض الايدي ولم يزل منها جملة حسنة في خزانة آل الرفاعي ، وهي غنية بكتب الحديث والرجال وفيها ما لا يوجد في غيرها ، وقد كنت نشرت نفائسها في مجلة مجمعنا العلمي العربي .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الخامسة : المكتبة المارونية وهي في دار البطريركية المارونية ، وكون تأسيسها منذ قرنين اقوله ظنا لا يقيناً .

وفيها من النفائس في كتب الادب : مباهج الفكر ومناهج العبر لمحمد ابن ابراهيم الانصاري المعروف بالوطواط المتوفى سنة ثمان عشرة وسبعمائة ، ومن هذا الكتاب عدة نسخ في الاستانة وهو جدير بالطبع .

وفي القرن الثالث عشر انشئ في المدرسة البهائية المعروفة بالصلاحية ايضا مكتبة فيها الان نحو ٧٠ كتابا ، وكذلك في المدرسة المنصورية في محلة الفرافرة انشأها الشيخ منصور السرميني وقد تبعثرت واحضرت البقية الباقية منها سنة ١٣٤٥ الى مكتبة الاوقاف .

ومكتبة أنشأها اسماعيل باشا واقف المدرسة الاسماعيلية في مدرسته ، وقد بقي منها بقية أحضرت أيضاً إلى مكتبة الاوقاف .

ومكتبة في خزانة جامع السكاكيني في محلة القصيلة بقي منها بقية أحضرت الى مكتبة الاوقاف .

ومكتبة في خزانة المدرسة الطرنطائية في محلة محمد بك في باب النيرب عند بني الباونجكي لم يزل منها بقية إلى اليوم .

ومكتبة في المدرسة القرناصية في محلة الفرافرة بددت أيضاً وأصبحت في خبر كان .

ما أمس من المكاتب في هذا القرن

مكتبتان هامتان وقفهما رجلان جليلان في هذا القرن :

الاولى : مكتبة وقفها محمود أفندي الجزار ، وضعت بعد وفاته في الجامع الكبير .

والثانية : مكتبة الحاج عبد القادر الحايري بقيت في بيته بعد وفاته ، ثم أحضرت المكتبتان منذ خمسة عشر عاماً إلى المدرسة الخسروية ثم نقلتا إلى المدرسة الشرقية التي تقدم ذكرها ، وأضيف اليها ما تقدم ذكره من البقية الباقية في تكية الشيخ أبي بكر والمنصورية وجامع السكاكيني والمدرسة الاسماعيلية واشتريت لها بعض الكتب المطبوعة فتألف من ذلك مكتبة حسنة تابعة لإدارة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الأوقاف ، لكنها في حاجة كبرى إلى الزيادة مما طبع في مصر وأوربة وغيرها ليكون منها مكتبة حافلة يرتوي منها رواد مناهل العلم ، فعسى أن تلبي دائرة الاوقاف نداءنا وتضع لها في ميزانيتها كل سنة مقداراً حسناً يكون سبب نموها وانتظامها .

ومنذ سنوات وقف الشيخ أحمد الصديق رحمه الله كتباً مخطوطة ومطبوعة على مدرسة في محلة قارلق ولم تزل هناك إلى الآن .

وآخر مكتبة أسست في الشهباء هي مكتبة فرع المجمع العلمي العربي بدمشق وكان ذلك منذ أربعة عشر عاماً أرسل اليها المجمع من تأسيسها إلى الآن نحو ١٩٠٠ مجلد ، وفي هذه السنة أرسل اليها ١٢٠٠ كتاب فصار فيها جملة صالحة إلا أن المكان الذي كانت فيه وهو تلك الحجرة التي هي في الطابق العلوي في خان الكرك التابع لدائرة الاوقاف كان غير صالح لوضع مكتبة فيه وذلك لضيقه وعدم ارتفاع سقفه ، والانسان يضيق به ذرعاً بعد قعوده فيه قليلا وتعتريه السآمة فيغادر المكان وهو لم يشف غليلا ، وأمكنة المطالعة يقتضي أن تكون فسيحة الارجاء مرتفعة السقف ينشرح لها الصدر وترتاح بها النفس ليكون ذلك سبباً للدأب في المطالعة والاسترسال فيها من غير ملل .

وظالما ذاكرت المجمع العلمي بدمشق وفي حلب عند حضور رئيسه وبعض أعضائه عن حالة هذا المكان فلم يجد ذلك شيئاً ، إلى أن عين محافظ حلب المحبوب الامير مصطفى الشهابي . فذاكرته في ذلك لاول زيارتي له في فندق بارون على اثر حضوره فوجدت منه أذناً صاغية وقلباً ملىء شغفاً بهذه المشاريع التي فيها مستنار العقول وحياة البلاد .

ولم تقف همة المحافظ حفظه الله عند نقل هذه المكتبة من مكانها الضيق الى هذا المكان المتسع الجميل بل سعى لدى المجلس البلدي بأن يضع في ميزانيته مبلغاً وافراً في كل سنة ليبني داراً عظيمة للكتب ويبتاع منه ما يطبع في مصر وغيرها من الكتب العربية وغير العربية ليجد المطالع فيها جميع ما يحتاج إليه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وما يشفي غليله ، ولا ريب أن هذا العمل مأثرة كبرى لمحافظنا يحفظها له التاريخ ويخلد له جميل الذكرى . والمجلس البلدي يكون في عمله هذا قد اقتدى بالمجالس البلدية في البلاد الأوروبية فان لها مكاتب عظيمة هي في تقدم مستمر .

ولم نسمع في الشرق للمجالس البلدية مكتبة إلا للمجلس البلدي في الاسكندرية فان له مكتبة قيمة اشتملت على آلاف من المخطوطات والمطبوعات وهو في كل سنة يزيد في عددها وتنظيمها .

فإذا أبرز المجلس البلدي في حلب هذا المشروع لحيز الوجود وقام بهذا العمل المجيد يكون المجلس الثاني الذي قام في الشرق بأمثال هذه المشاريع النافعة للبلاد ، وهو الاول من نوعه في البلاد الشامية .

والذي نرجوه من المجلس البلدي ومن دائرة الاوقاف إذا أحبا أن يكون لنا مكاتب تدر بالفائدة الكبرى على هذه البلاد أن لا يقتصرا على ابتياع ما طبع وما يطبع فحسب بل عليهما أن يأخذا ما تعظم الفائدة به من آثار أسلافنا التي تسربت إلى مكاتب الغرب والاستانة ومصر بالمصور الشمسي ويستردا بضاعتنا الينا .

وأهم هذه الآثار بالنسبة إلى حلب بل الى بلادنا الشامية جميعها ذلك التاريخ العظيم وهو « بغية الطلب في تاريخ حلب » للامام الكبير والوزير الخطير والمؤرخ الشهير الشاعر الناثر ذي الخط الجميل الذي ضرب به المثل ونوه به شعراء عصره كمال الدين عمر بن أحمد بن العديم الحلبي المتوفى سنة ٦٦٠ وقد أفردت لهذا الرجل العظيم ولتاريخه كتاباً خاصاً في سبعين صحيفة .

ومعظم تاريخه بخطه في ثمان مجلدات في سراي طوب قبو في الاستانة وجزء منه في لوندرة وجزء في باريس وثلاثة أجزاء في مكتبة أيا صوفية في الاستانة وهي بخطه أيضاً وقد سبقتنا الحكومة المصرية الى أخذ هذه الاجزاء بالمصور الشمسي ، وقد كان المرحوم أحمد زكي باشا أرسل لي سبع أوراق أخذها عن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

النسخة المصرية وها هي أعرضها على أنظاركم الكريمة ، وجزء من هذا التاريخ العظيم في إحدى مكاتب الموصل قد استنسخناه وفيه ترجمة نحو عشرين شاعراً من شعراء المعرة قل منا من يعرف واحداً منهم الى غير ذلك من الفوائد التي اشتمل عليها هذا الجزء وها هو بين أيديكم ، وباسترداد هذا الكتاب وأمثاله مما نحن في حاجة اليه وإبرازه لعالم المطبوعات نزداد علماً بمجد آبائنا ومعرفة ببلادنا الشامية وما دثر منها والاحوال المدنية والعمرانية التي كانت عليها ؛ ونقف على ما أنبتته من الرجال وما قاموا به من جليل الاعمال وما خلدوه من الآثار الى غير ذلك من جلى الفوائد وعظيم العوائد ، وذلك ولا ريب من أعظم البواعث لنهضتنا واستيقاظنا من رقدتنا ، واسترجاع سالف عزنا ومجدنا ، والله الموفق ، والسلام عليكم ورحمة الله .

في ١٨ جمادى الاولى سنة ١٣٥٦

في ٢٦ تموز سنة ١٩٣٧

محمد راغب الطباخ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net